المحاضرة العاشرة

القصـر

القصر، لغة، الحبس والإلزام، تقول: قصرت نفسي على شيء، إذا حبستها وألزمتها إيّاه.

والقصر، في اصطلاح علماء المعاني، تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص، وذلك كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي والاستثناء في قوله تعالى: ((وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور))، وتخصيص الخبر بالمبتدأ مثل : ((ما شاعر إلّا المتنبي)).

طرفـا القصــر

للقصر طرفان، هما:

١- المقصور: وهو الشيء المخصّص.

٢- المقصور عليه: وهو الشيء المخصص به.

ففي الآية السابقة: ((وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور))، خصّصنا الغرور بمتاع الدنيا، وفي قوله تعالى: ((لا يعلم الغيب إلّا الله)) خصّصنا علم الغيب بالله تعالى. فـ (الحياة الدنيا) مقصور عليه، و(الغرور) مقصور، و(علم الغيب) مقصور، ولفظ الجلالة مقصور عليه.

طرق القصر

للقصر طرق متعدّدة، أهمها:

١- النفي والاستثناء: ويكون (المقصور عليه)، في هذه الطريقة، بعد أداة الاستثناء، كقوله تعالى: ((وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل)).
وتستعمل (غير)، في القصر، استعمال (إلّا)، كقولنا: (ما زهير غير شاعر).

٢- القصر بـ (إنّما)، ويكون المقصور عليه، في هذه الطريقة، مؤخرا وجوبا، نحو قوله تعالى: ((إنّما يخشى الله من عباده العلماء))، فـ (العلماء) مقصور عليه، وقوله تعالى: ((إنّما المؤمنون أخوة)).

٣- العطف بـ (لا) و(لكن) و(بل).
فإن كان العطف بـ (لا) كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها، وإن كان العطف بـ (لكن) و(بل) كان المقصور عليه ما بعدهما، مثل: (المتنبي شاعر لا كاتب)، و(لا أجيد الشعر لكن الخطابة)، و(ما زهير كاتب بل شاعر).

٤- تقديم ما حقّه التأخير، وهنا يكون المقصور عليه هو المقدّم، نحو قوله تعالى: ((أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم)). فـ (راغب) خبر مقدّم، و(أنت) ومبتدأ مؤخّر، ولم يقل: (أنت راغب)، ليدلّ، بذلك، على إفراط تعجّبه في الميل عنها.

أقسام القصر

ينقسم القصر بحسب الحقيقة والإضافة الى:

١- قصر حقيقي: وهو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة، لا يتعدّاه الى غيره أصلا، كقوله تعالى: ((إنّما يتذكّر أولو الألباب)). فالتذكّر صفة لا تتجاوز الى غيرهم من سائر الناس في الحقيقة والواقع. ومنه، أيضا، قولنا: (ما خاتم الأنبياء والرسل إلّا محمّد)، فـ (خاتم الأنبياء والرسل)، وهو المقصور مختصّ بـ (محمّد)، وهو المقصور عليه يتجاوزه الى غيره.

٢- قصر إضافي، وذلك بأن يكون القصر فيه بالإضافة الى شيء آخر، كقوله تعالى: ((وما محمّد إلّا رسول)). فـ (محمّد) مقصور على الرسالة بالإضافة الى شيء آخر، وليس المقصود أنّ الرسالة مختصّة به وحده.

ويقسم القصر باعتبار طرفيه (المقصور والمقصور عليه) الى:

١- قصر موصوف على صفة، كقوله تعالى: ((ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا الى الله زلفى))، فقد قصر العبادة على التقريب الى الله قصر موصوف على الصفة.

٢- قصر صفة على موصوف، كقولنا: (ما في الدار إلّا زيد)، فقد قصر الوجود في الدار على (محمّد) قصر صفة على موصوف.